

**اللقاء السابع من لقاءات التفسير
في شهر رمضان المبارك من عام 1437هـ**

**الجزء التاسع: سورة الأعراف
الآيات 127-136**

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها
الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ
بِهِ)

[/!#/http://tafaregdros.blogspot.com](http://tafaregdros.blogspot.com)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)
[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)
- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..
والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل القرآن ويعيننا على قراءته وفهمه وتدبره ومصاحبته فهو وحده المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به..

نقرأ اليوم من سورة الأعراف، هذه الآيات التي يصف الله عز وجل فيها عداوة فرعون لموسى عليه السلام وكيف كان حاله معه. ورغم أن هذه القصة قد تكررت في القرآن، لكن في كل موطن لها كما تعلمون يرد معنى ومفهوم متخلف عن الموطن الثاني.

ولذا سيتكرر معنا في هذا الشهر الوقوف على هذه القصة والانتفاع من بعض عبرها، وما كررها علينا رب العالمين لا نعتبر في كل موطن للاعتبار.

اخترنا من هذه القصة، طبعا قصة موسى عليه

السلام في الأعراف طويلة، أتت على الجزئين من قصته ، أتت على الجزء المختص بقصته مع فرعون ، وعلى الجزء المختص أيضا بقصته مع قومه. وهنا يظهر تميز سياق الأعراف عن غيره .

اخترنا من بين هذا السياق، الموقف الذي حصل من فرعون ومن ملأه بعد أن وقع إيمان السحرة، لما **{ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ }** وهو يظن يعني فرعون يظن أن كل شأن يحصل للخلق إنما من بعد إذنه! فقال



فرعون: **{ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ }** ثم قلب المسألة عليهم وجعل أن هذا جزء من المكر ، وهددهم أنه سيقطع أيديهم

وأرجلهم، فما كان منهم إلا عدم العناية بذلك، قالوا: **{ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ }** غير مهتمين بتهديده. وطلبوا من ربنا،

قالوا: **{رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ}** فلها كان هذا منهم أتى قومه فقالوا له ما سنسمع الآن وما سيتبين من خلال الآيات كيف يكون هؤلاء المملأ فاسدين مفسدين وهو فاسد يقودهم!

وهذا تحقيقا لما مضى من سورة الأنعام فإنه سبحانه وتعالى أخبر عن هذه الولاية الخطيرة أخبر عنها في سورة الأنعام وأخبر عنها أيضا في آخر سورة الأعراف.

في سورة الأنعام قال عز وجل: **{وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** نولي بعض الظالمين بعضا، فهذا أول درس نفهمه الآن عندما سنقرأ الآيات، كيف هؤلاء القوم في موقف هو يستعصمهم وفي موقف هم يحرشوه! فالموقف الذي بين أيدينا الآن هم يحرشوه على موسى وقومه، بعدما حصل عدم العناية من السحرة الذي انقلبوا إلى الإيمان، عدم العناية به وبعبادته، فحرشوه كما سنسمع.

قال عز وجل: **{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ } ماذا يقولون؟ {أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَأَلْهَتَكَ}** فلما حرشوا **{قَالَ سَنُقْتَلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ}**.

هنا نقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم غير القتل الأول لذلك يقولون قوم موسى نحن أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، لكن سنقف جملة جملة عند هذه الآية.

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} هؤلاء الذين تمالؤوا وتظاهروا على موسى عليه السلام، فتمالأ هؤلاء القوم من الأذى والبغض الذي في قلوبهم، وأصبحوا يقولون لفرعون: **{أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ}** يعني تدعه م ليفسدوا في الأرض، يعني يفسدوا أهل رعيته، ويدعون إلى عبادة الله وحده، وهنا ما ينتهي العجب! يمثلون دور المشفق من الفساد ويرون أن الذي يدعو للتوحيد ويدعو إلى طاعة الله سيفسد الناس!

وهذه الصورة لازالت متكررة في كل زمان، أن أهل الباطل يتهمون أهل الحق بأنهم هم المفسدون، والحقيقة كما تكرر في كتاب الله **{أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ}** البقرة:12 فهذا أول الكلام، أنهم يحرشونه على أن كيف تتركهم يفسدون الخلق بالتوحيد، وهذا كما تبين لنا بعدما رأوا عدم اكتراث المؤمنين بوعيد فرعون.

فخاف الملائكة أن يتراجع فرعون فجاءوا له بكلام يثير غضبه، فاتهموا موسى عليه السلام أنه يجسد وهذا أمر، والأمر الثاني وهو أنهم قالوا له: **{ وَيَذْرِكُ }** يعني يتركك، **{ وَآلِهَتِكَ }** يعني يذرك ويذر عبادة آلهتك، وهنا قراءتين مشهورتين ولكن المختار هذه القراءة يذرك أي يتركك ويترك آلهتك.

وربما هذا يسبب عند البعض الحيرة أن فرعون هو الذي قال أنا ربكم الأعلى فالمتصور أنه هو المعبود يعني هو يرى نفسه الإله، والحقيقة أن فرعون كان من الصابئة عبادة الكواكب.

وهؤلاء عندهم مجموعة من الاعتقادات، يعني (القبط) هم مشركين يعبدون آلهة متنوعة من الكواكب، ومعبوداتهم هذه لها أسماء، من أشهرها، من أشهر هذه المعبودات عندهم مايسمونه: بؤزيس، وهوريس. وهذه الكلمات التي تدل عندهم على ثالوث، مجموعة من أب وأم وابن، وعندهم أيضا ما يسمونه ب "توق" وهو القمر وهو عندهم رب الحكمة، وأيضا عندهم ما يسمونه "برع" وهو الشمس وهذا تتفرع منه آلهة باعتبار أوقات شعاع الشمس، وعليه بنو الأهرام بطريقة معينة ليبقى كل وقت يظهر لهم فيه إله، تعالى الله عما يقولون.

وكان أعظم هذه الأصنام هو الذي ينتسب فرعون إلى بنوته، فرعون يعتبر عندهم ابن الإله، ويعتقدون عقيدة الحلول، أن الإله حلّ فيه، فيكون عندهم فرعون هو المنقذ للدين، وكان يُعد إله مصر، وكانت طاعته طاعة للإله؛ ولذا كان يقول كما حكى رب العالمين: **{ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى }**، ويقول أيضا: **{ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي }**.

وفيما يذكر عنه كما ذكر ابن عباس رضي الله عنه، أنه كان له بقرة يعبدها . وفي بعض الروايات كما ذكر الحسن البصري قال: أن فرعون كان له جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجد لها.

وقد ذكر الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل" أن النمرود وفرعون يعتقدان أنهما إلهان أرضيان يقابلان الآلهة السماوية، فهم يعتقدون الألوهية من حيث الأمر، أنهم يتمكنون من الأمر، أنه إله يأمر لا من حيث الخلق، في كل زمان من هو أكبر منهم سنا وأقدم في الوجود، فالمقصود أن فرعون كان يعتقد بعقيدة الحلول، ومن ثم اعتقد أن الإله في السماء سواء الكواكب أو ما ورائها، قد حلّ فيه فأصبح هو الأمر الناهي.

وهذا كله ينبهنا لشيء مهم جدا كان من اللازم التنبيه له وهو أن بني إسرائيل لما خرجوا من عنده، وتحرروا من العبودية كنا سمعنا أنهم لما قيل لهم: **{ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ }**، قالوا: **{ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ }** وقالوا: **{ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى }**

يَخْرُجُوا مِنْهَا وقالوا لموسى: **{أَذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا}** هذا كله كان من آثار الاستعباد والهزيمة، ولما نريد أن نفسر كما سيأتي في نفس سياق هذه الآيات نريد أن نفسر كيف بعدما أن يخرجوا من عبودية فرعون ويُدعون إلى الله الواحد القهار، يطلبون **{اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ}** ولا ينتهي الأمر هنا، بل ينتقلون إلى عبادة العجل، ولم العجل خاصة؟!!

فهذا كله يعني يقول لنا أن آثار الاحتكاك بأهل الكفر حتى لو كان مستعبدين عند أهل الكفر ، آثارها تنسرب للنفوس، وتظهر في الأفكار ، وحتى لو كان العدو يعظم شيء فالمهزومين أمام العدو يعظمون هذا الشيء ، حتى لو كان يعذبهم، حتى لو كان يفعل بهم الأفاعيل، فإن القوم يعظمون العدو ويعظمون ما يعظم.

وهذا جواب لسؤال لو قرأتم قصة موسى عليه السلام في الأعراف، سيظهر الأمر متتابع تماما. قومه يقولون له: **{وَيَذَرُكَ وَآلِهَتِكَ}**، فيظهر أنه يعبد غير الله، بالإضافة إلى تعظيمه نفسه، بالإضافة إلى اعتقاده أن الألوهية حلت فيه.

فإذاً هو يرى نفسه ابن الإله منفذ أمر الألوهية وحلت فيه الألوهية و يعبد العجل ويلبس الجمان التي يسجد لها.. وهكذا، ويغرقه الله وينجي بني إسرائيل يخرجون فيفعلون الذي كان يفعله! فكم في هذه القصة من معاني عظيمة تستلزم منا ملاحظة آثار الهزيمة.

كيف هذه الهزيمة النفسية تفعل بالخلق!

كيف يكونوا ضعفاء ويكون هو قوي ويكون عدو لهم ومع ذلك يقع منهم هذا الذي يقع في قلوبهم!

قال: (سنقتل) (ونستحيي) عاداته هذه، فأراد الم بالغة في إدهابهم فأراد أن يقتل من يقتل والاستحياء يعني يقيهم أحياء. وأراد أن يقيهم أحياء لكي يتخذهم خدماً وسراري، قال: **{وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ}** لماذا يقول لهم هذه الكلمة؟

لأنهم الذين يريدون منه أن ينتقم، فكأنه في حال اعتذار، فرعون يعتذر للملأ عن إبقائه عن الاتصال موسى وقومه، وكأنه يقول لهم اطمئنوا لا يقدرنا أن يفسدوا في البلاد، ولا أن يخرجوا عن الطاعة.

{وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ} يعني غالبون بالإذلال، وفوقهم يعني متمكنين منهم. ولا تنسوا أن فرعون وقومه يتبادلون هذه

المسألة مرة هم يألبوه على موسى ومرة هو يريد أن يفعل به.

وهذا كما تبين لنا أن هـ من تولية الظالمين بع ضهم ببعض، ولما وقع هذا الكلام: **{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}** فهو يأمرهم بالتوكل ، وهو هنا طلب نصر الله وتأييده.

وكل هذا داخل في الاستعانة، ويستلزم هذا الصبر على الضّر، وما يصبر على الضّر إلا من يعتقد أنه زائل بإذن الله، مأجور عليه بإذن الله.

أمر قومه بالاستعانة، وأمرهم بالصبر، وطمّنهم وعلل لهم، بأن الأرض لله، يعني كأنه يقول لهم افعلوا ذلك لأنه لا يمكن أن ينازع أرض الله أحد، فالظالم حكمه لا يدوم، يورثها من يشاء، وهذه إشارة إلى أن فرعون لا بد أن يزول، وأراد من هذا الأمر صرف اليأس عن أنفسهم، لأنهم يرون بأعينهم قوة فرعون وسلطانه. وهو يطمئنهم بأن الله الذي خوّله هذا السلطان قادر على نزعها، لأن ملك الأرض بل ملك كل شيء له سبحانه وتعالى. وهذا من المعلوم يقينا فإن الله هو الذي يقدر لمن شاء ملك شيء وهو الذي يقدر نزعها إن شاء.

قال: **{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}**، والعاقبة هي نهاية الأمر . وقد تكرر هذا المعنى في كت اب الله كما قال تع الى في طه: **{وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}**، وكأنه يقال: لا بد أن ينزع الله الملك والسلطان من هذا الطاغية، ويعطيها للمتقين، لكن هل أنتم من المتقين!؟

إذا إجماع الأرض يكون لأهل التقوى، والناس فيهم متقون وغيرهم.

عندما ترى أن غير المتقين هم الأولياء ، فهذا إما يأتي عارضاً، و إما لاستواء الناس في عدم التقوى، يعني كلهم غير متقين فيولي بعضهم بعضاً، لكن هذه سنة لا تتخلى، فك أنه يقول لهم إن صبرتم على ما نالكم من المكروه واحتسبتم واستقمتم، ستكون عاقبتكم خيراً، ويورثكم الله عز وجل ملكه سبحانه وتعالى، وهذا وعد من الله لهم بالعاقبة.

فلما وعدهم: **{قَالُوا أَوْدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا}** يعني ما جرى عليهم من الهوان والإذلال قبل أن يعث موسى ومن بعد ذلك، وهذا وصف للحال، وبيان ليأس قد دبّ في نفوسهم، ولذا رد عليهم موسى عليه السلام بما عساه يهدئهم ويصرف عنهم هذا اليأس، فقال لهم راجعاً متأدباً مع الله، ومن أجل أن يُعلم أنه لا أحد يتكل على نفسه ولا على تقواه، بل يرجو رحمة الله، **{قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ}** يعني إن الأرض لله فعسى ربكم أن يهلك عدوكم،

وقال لهم: **{وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ}** كأنه يقول لهم: **(والعاقبة للمتقين)** فهاتين جملتين متقابلتين، لما قال لهم إن الأرض لله، وقال لهم العاقبة للمتقين، فلما قالوا له هذا الكلام المليء باليأس، قابل تلك الجملتين به ذه الجملتين، **{عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ}**؛ لأن الأرض لله وقابل ويستخلفكم في الأرض لقوله عز وجل والعاقبة للمتقين.

إذا لست أنت إنم للمتقين، الأرض لله والعاقبة للمتقين، فإذا كنت متقياً كنت أهلاً لذلك.

والاستخلاف كما هو معلوم، هو أن يجعل الله عز وجل للعبد تمكّن في الأرض فيخلف بعضهم بعضاً في الأرض، وينتفعون منها، ويأتي هنا شيء مهم جداً علينا التنبه له في هذا السياق، والانتفاع منه في كلام موسى عليه السلام، فإنه صلى الله عليه وسلم يقول: **{فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}** هم قالوا يائسين: **{أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا}**، رد عليهم: **{قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفْكُمْ فِي الْأَرْضِ}** إذا حصل هذا، هل أنتم شعب الله المختار؟! تفعلون ما تريدون؟! لا هذا غير صحيح، بل قال لهم على وجه تحميل المسؤولية والتخويف، **{فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ}** فكأنه يقول لهم كونوا على حذر ولا تنقلبوا عن طاعة الله، ولا تعملوا ما لا يرضي الله، وكأنه يقول إن أعطاكم وأنعم عليكم، فالواجب الاستكثار من الطاعة؛ لأنه ناظر إليكم، هل أنتم متقون عاملون بعمل أهل التقوى مستمرين على ذلك؟ فلتعلموا أنه عليم بما تعملون.

فإذا عملتم عمل أهل التقوى، أبقى عليكم النعمة، وإذا كنتم إن مكنكم تركتم الشكر واستعملتم البطر فحقيق أن تكونوا ممن ينزع الله عز وجل منه النعمة. وأنتم تعرفون كما مر معنا كيف أنهم بقوا في التيه أربعين سنة، والسبب في ذلك أنهم ما ائتمروا بأمر الله، والله ناظر كيف يعملون.

على كل حال القوم كانوا في اختبار بعدما ملكوا وأعطوا، ونظر الله إلى مسارعته في طاعته، أو ثقافتهم عنها. وهذا ليس شأن قوم موسى فقط بل هذا شأن القوم كلهم، إذا أبلاهم واختبرهم نظر إلى أعمالهم وتقواهم، سارعوا في الطاعة، وشكروا ربهم من توفيقه. ثقافوا وكثر انتقادهم، ووقع منهم المعاصي في وقت الطاعة فهؤلاء حقاً يستحقوا الخذلان.

عرفنا أن هذا الآية في سياق الكلام عن بني إسرائيل لكن هي عامة المعنى، فينظر كيف تعملون. ثم أتى في الآيات ما يدل على اختبار وابتلاء آل فرعون بما يؤذن بهلاكهم وذهابهم.

هنا حصلت انتقالة إلى ذكر المصائب التي أصاب الله بها فرعون وقومه، وهذه المصائب عبارة عن آيات لموسى، وهذا من أجل أن يلجئ فرعون بني إسرائيل بالإذن بالخروج.

وهذا شيء من معجزات موسى عليه السلام، بعد المعجزة الكبرى التي أظهرها الله عز وجل لموسى في مجمع السحرة، و الذي يظهر في السياق أن فرعون ما فعل ما قال من تقتيل بني إسرائيل لأنهم كانوا يعملون له أعمال عظيمة أشغال في مملكته وفي نفس الوقت هو اعتذر لقومه، قال: قتلناهم أم لم نقتلهم إنا عليهم قاهرون لا يستطيعون إنا فوقهم قاهرون .

لما قال إنا فوقهم قاهرون قال موسى عليه السلام: **{إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ}** فذاك مخدوع، يعتقد أنه سيبقى دائما قادر والحقيقة أن الأرض لله يورثها من يشاء.

المقصد الذي يظهر أن موسى بقي في قومه مدة يحاول مع فرعون أن يطلق بني إسرائيل وفرعون يعد ويخلف، لأنه هنا **{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ}**.

بالسنين معناها يعني الأعوام، سنين جمع سنة. والسنة يكون فيها الجذب والقحط، يعني السنين هنا المراد بها يعني القحوط المتتالية، فأصابهم القحط في بلدانهم، وهذا أخذ وهو يقول إنا فوقهم قاهرون.

وانظروا كيف الله يقهره قهرا؛ لأن الله عز وجل يقول: **{وَلَقَدْ أَخَذْنَا}** يعني هذا دليل القهر والغلبة، لماذا فعل بهم هذا الأمر؟ **{لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ}**؟ أنقص عليهم الثمرات، فقل إنتاجهم لعلهم يذكرون. يعني لما جاء الج دب نقصت الثمرات، فأكيد أنها أصابت المزارع والحقول بما يضعفها.

المتوقع أن المصائب والأضرار التي تأتي مع تذكير موسى لهم برهم، وطلبه تسريح هؤلاء العبيد كان المفروض أن يجعلوا هذا علامة! فيقولون: يذكرنا ويحصل علينا هذه العقوبات، فأكيد أن ما يقوله حق، ولما يرفع عنا هذا فعلى الأقل نترك العباد. وشأن الخلق الأتقياء التذكر والتفطن وهذا ما هو إلا من عمل أولي الأبواب.

أما هؤلاء فإنهم استكبروا في الأرض، فبعيد عنهم التذكر وهذا من باب الإملاء لهم وقطع عذرهم، وعلينا أن نرى كيف أن من دلائل غضب الله سلب النعمة. فإذا سلبت النعمة عُلِمَ أن الله ينبه العبد بسبب إعراضه عن الله، فإذا عاد أعاد الله عليه أعظم مما سلب منه.

على كل حال هم كانت هذه حالتهم، يعني أخذنا آل فرعون بالسنين، فإذا جاءتهم الحسنة لهم حال. وإن تصيبهم سيئة لهم حال. يصبح سؤالنا هل تذكروا؟

الجواب لا لم يتذكروا! كان حالهم **{فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ}** ماذا يفعلون؟ **{قَالُوا لَنَا هَذِهِ}** بمعنى نستحقها!

{وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ} من جذب وقحط، **{يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ}** يعني يقولون هذا بسببهم، ما جاءوا به، فالله يرد عليه يقول: **{أَلَا إِنَّمَا طَأْتِيَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}** يعني مصائبهم عند الله، من قبل الله أنزلها عليهم من أجل أن يعودوا.

جعلوا التطير والتشاؤم بسبب موسى وكان المفروض يجعلوه بسبب ذنوبهم فهم يقولون: ما حل علينا هذا إلا بسبب وجود موسى ومن آمن معه. ومن شدة ضلالتهم كانوا يحسبون أنهم إذا حافظوا على دينهم كانوا في سعادة عيش! ففكروا بعقولهم الفاسدة أن وجود من يخالف دينهم بينهم سيكون سببا لحل المصائب والأضرار بهم، فتشاءموا بهم وهذا من زيادة الضلال، أنهم ما عرفوا أن سبب المصائب هو كفرهم وإعراضهم.

وهذا أخطر ما يكون على العبد أن ينصرف عن معرفة الأسباب الحقيقية، ويعيش مع الأسباب الوهمية.

فهذا تجده كثير في أطروحات الناس للحلول على البلاء التي وقعت على المسلمين فكل يوم تجد أحد يقترح عليك اقتراح منصرف عن معرفة الأسباب الحقيقية.

قال الله عز وجل: **{أَلَا إِنَّمَا طَأْتِيَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}** بمعنى أن هذا شأن الجاهلين، فإن سوء حالهم عقاب من الله لا من عند موسى ومن معه.

ولذا المؤمنون تراهم يتطلبون معرفة أسباب حصول الخير والشر، من عند الرسل و من الكتاب، والمشركون تراهم يتطلبون معرفة الخير والشر بالاستقسام بالأزلام وبللتطير وبغيره. فقال الله عز وجل: **{ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}** يعني جهال لا يعملون الحق فيضعون الأسباب الوهمية مقابل الأسباب الحقيقية، فينزل البلاء عليهم، ولا يستفيدون منه.

وقالوا: **{وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتَيْنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}** يعني لازلوا متمردين أقام الله عز وجل

عليهم الدلائل والحجج، يردونها ويصرون أنهم لا يؤمنون! فهم قابلوا المصائب التي تأتيهم من عند الله وكان المفروض أن

يتذكروا، قابلوها بازدياد الغرور والعناد وأصبحوا يقولون له مهما تأتينا به من أعمال سحرك فما نحن بمؤمنين، يعني لا تتعب نفسك بالسحر.

وهذا من العجائب، لكن لما ينقطع نور البصيرة تكون هذه هي النتيجة، أن دلائل الحق يرونها دلائل باطل.

يقول الله عز وجل: **{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ}** هناك حصل الجذب وهنا جاء الطوفان، وهو الأمطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار. فأصبح حبس الماء من جهة، وأصبح من جهة أخرى الطوفان مصدر للعذاب عليهم. وهذا الطوفان أتى لهم ولكن ما دخل الأرض التي كان بني إسرائيل فيها.

{وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}

جاءهم الجراد وهي الحشرة المعروفة، وهي مهلكة أيضا للزروع والشجر ما تترك شيء تأكل الورق والسنبلة وورق الشجر وقشر الشجر، وهو من أسباب القحط. فأصاب أرضهم ولم تصب أرض بني إسرائيل.

وأصابهم القمل أيضا وهو حشرة معروفة تكون في الرأس وجلد الجسد. فأصاب القبط هذا أنفسهم وأصاب مواشيهم.

وأبدا الضفادع المعروفة وهو حيوان يمشي على أربع أرجل ويسبح في الماء ، فكانوا في الغدران وفي منافع المياه، لهم أصوات مزعجة وكان يوتمي في قذومهم، ويقع في العيون والأسقية فما يستطيعوا أن يشربوا، وكانوا تطأها أرجل الناس فتقتدر البيوت.

وأبدا أصابهم الدم، والظاهر أنه أصابهم الرعاف، أو قيلي أنه أصابهم دود أحمر في الماء فأصبح الماء يشبه الدم!

أصبحت الحياة مجموعة مستقدرات، بعدما كانوا في أحسن حال، وكانت هذه كلها آيات تقابل قوله: **{وَإِنَّا فَوْقَهُمْ**

قَاهِرُونَ} وكانوا يرونهم سالمين ويرون أنفسهم في عذاب، فلأن متوقع بعد هذا كله أنهم يعودون.

العجيب الآن أننا سنسمع عنهم أنهم لما وقع عليهم هذا كله: **{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا**

رَبِّكَ} أنتم مكذبون فكيف الآن تقولون هذا القول!؟

{ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ } أي العذاب وقيل أنه اسم من أسماء الطاعون.

{قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} هذا الكلام معناه أنهم يعترفون بربوبية الله وهم في حالتهم هذه يقصدون أن هذا إله وهذا إله فالآن الغلبة لإله موسى، فوقع في قلوبهم من كثرة ما رأوا من آيات موسى أنه لموسى رب له قدرة وتصرف، وأنه أصابهم بالمصائب لأنهم أضروا عبيده، سألوا موسى أن يكف ربه عنهم، وإذا كف تركوه يخرج بني إسرائيل، وهذا كما تعلمون كذبة، اخرجوا اعبدوا ربكم في أرض غير أرض مصر، وهم ما كانوا يريدون إلا هذا.

قالوا: **{بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ}** يعني بما أودع عندك من أسرار، اكشف عنا ما نحن فيه ، وإذا كشفت عنا وعدوه بأمرين: وعدوه بالإيمان به، وبارسال بني إسرائيل، وبعدها أقسموا على ذلك.

فما قالوا له نحن سنتبعك، لكن قالوا سنؤمن أن عندك رب، وأنتك صادق مرسول وسنعطيك بني إسرائيل.

{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} يعني كشف عنهم فلم يوفوا.

وهذا دليل على أن موسى دع الله فلترفع عنهم، لكنهم نك بظنهم ونقضوا بعدما وعدوه، وهذه الحال تقرب لنا شيء خطير جدا، تقرب لنا كيف أن الخلق عندما يأتون يوم القيامة وتنكشف لهم جميع الحقائق ، ويقولون هل إلى خروج من سبيل؟ يريدون أن يرجعوا إلى الدنيا، يريدون أن يعودوا مرة أخرى ويعملوا!

والله يقول عنهم: **{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}** فترى صورة هذه في موقف فرعون وقومه ، يعني يأتون يقولون له: **{ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عٰهَدَ عِنْدَكَ}** وثم يوعده **{لَتُؤْمِنَنَّ لَكَ}** ويوعده **{وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ}**، ولما يكشف الله عز وجل عنهم هذا ينكثون!

انتهت القصة هنا بأنهم لما وصل حالهم في العتو والتمرد وتكررت عليهم الآيات انتقم الله منهم بإغراقه إياهم في اليم. وهذا من أهم العبر، فإنّ عناد فرعون ومأله وتكذيبه رسالة موسى بعدما رأى كل الآيات، رأى انقلاب العصي ثعبان، ورأى تغيير لون يده، وتغلبه على السحرة، وكيف أن الله أخذ آل فرعون بمصائب جعلها آيات على صدق موسى، كيف بعد هذا كل كابروا وعاندوا! وصلوا إلى حد أنهم وعدوا موسى بالإيمان ووعدوه أن يسرحوا له بني إسرائيل وعاهدوه على ذلك. فلما كشف عنهم نكثوا!

يترتب على ذلك أنه استأصلهم، وحرر المؤمنين الذين كانوا مستضعفين.

لما نصل إلى هنا ونرى كيف أن الله أغرقهم في اليم ونرى أن هذا الشيء رأوه بني إسرائيل، وكيف أن الله عز وجل أورثهم الأرض، يأتي بعد ذلك من مواقف بنو إسرائيل بعدها اقرؤوا كيف بعد هذا كله الذي رأوه، مباشرة يقول الله عز وجل: **{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ }** فقط تجاوز البحر بعد هذا الموقف فلتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم، **{ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ! }** وهذا أمر غير مصور! لكن كما اتفقنا منذ أول الكلام أن هذه حال المهزومين كيف يجري في دمائهم وإذا حصل لهم التيه، و قد مر معنا أن ربما من مصالح هذا التيه أن يموت هذا الجيل المهزوم الجبان، طبعاً ليسوا كلهم لكن أكثرهم.

وتقرؤون فيما تقرؤون أن موسى عليه السلام واعد ربه وسبق قومه فما كان منهم إلا أن اتخذوا العجل كما في الآيات التي ستقرؤونها بعد هذه **{ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ }**. إن شاء الله سيأتي بيانه في سورة طه بالتفصيل وناقشه.

المقصد أن تصوروا القوم كيف كانت هذه حالتهم ، وبعد هذا كلهم يخرجوا مباشرة يقول الله عز وجل: **{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ }** جاوزنا بهم البحر **{ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ }**، الفاء هذه للتعقيب. كيف يكون هذا وهم مدعوون للتوحيد، كيف يذهب موسى ويسبقهم إلى موعدهم، فيقع منهم عبادة العجل! كيف يأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ، فيجبنون عنها! هذا شأن عظيم!

وقد علمنا أن الصحابة الكرام كانوا خير من صاحب النبي عليه الصلاة والسلام، وهو أعلم حيث يجعل رسالته سبحانه وتعالى. وهم الذين ناصروه ولما علموا التوحيد نبذوا الشرك وحاربوه، فالحمد لله أننا من أجيال هؤلاء ونشهد للأنبياء العظام الكرام أنه صبروا لنشر التوحيد، وصبروا على أقوامهم، بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا أممهم.. والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.